عبد العزيز كامل الشهابي

للكون إله

الطبعة الرابعة

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ
الْخَالِقُونَ ؟ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ !!

صدق الله العظيم .

الإهـــداء

إلى سيدى رسول الله حامل المشعل الوهاج المضيء ... إلى الذى جاء به الرحمن الرحيم ليعطى القدوة ، ويعبد الطريق ، ويكون أمام الأعين ... النموذج الكريم ... إلى دعاة الحق والفضيلة ... إلى الراشدين الذين يرتفعون بأقدارهم إلى أهدافهم الرفيعة ... إلى الآباء ، إلى المتعلمين ، إلى المعلمين ، أقدم " كلمات فى العقيدة وتصحيح العبودية " ... والله يمنحها القبول والنفع إنه الكريم

المؤلف

عبد العزيز كامل الشرقاوي

للكـــون .. إلـــه ...

- طريق للايمان بالله .. من ايسر السبل فهو قافلة النور تسير فى ركاب التوحيد .
- يهدى الى الله عن طريق الفكر اليقظ والدين الحق .
- اجابات شافية لشبهات مغرضة يثيرها الملحدون .
- دفعة قوية للعمل المثمر ، ومعاملة رب العالمين (سبحانه)
- يرسم الطريق للعبادة الجادة عن طريق العقيدة الصادقة
- محاسبة يومية توقظ الضمائر قبل فوات الاوان .
- فورة غضب على مدرس فلســـفة انزلق بطلابه فكانت محاضرة فى الرد عليه ولعلها تكون قافلة من النور فى ركاب التوحيد .
- درس فى التوحيد يأخذ بيد قارئه الى عـــالمى الغيب والشهادة ليلتقط منهما العقيدة السليمة .. فضلا عما فيه من ضرورة تحسين السلوك .. وهى ثمرة العقيدة الصـــادقة .

والله ولى التوفيق .

دار الاعتصام

هذا الكتاب يشتمل على:

- أسئلة حرجة وإجابتها.
- إثبات وجود الله بطرق ميسرة!
- الرد على الطبيعيين.
- أبو حنيفة يرد على الدهريين.
- تصحيح العبودية لله تعالى.
- تكريم الله للإنسان.
- آلة تسجيل إلهية.
- استقامة القلب واللسان.
- رد كيد ابليس.
- نداء إلى تلاميذ محمد "صلى الله عليه وسلم".
- الفاروق عمر يوجهنا.
- شفاء من كل داء!
- مصالحة العبد لمولاه!



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من تقدست عن الاشباه ذاتك .. وتنزهت عن مشابهة الامثال صفاتك ..

واياك أحمد يا مستوجب الحمد . واياك أشكر يا من اغدقت نعمك على جميع خلقك .. مصليا على فخر الكون ، وأستاذ الدنيا ، وسيد من فى الوجود .. سيدنا محمد .. تلكم النبتة الربانية التى نظرت اليهـــا العناية الالهية .. فنمت ، وترعرعت ، وازدهرت ، وأزهرت ، وأثمرت انسانية فى جسم خير انسان ، وأنتجت تعقلا ونضجا ، وعزيمة ، وحكمة .. فبعزيمته أباد دولة الأصنام ، وغرس دولة الرحمن ، وبحكمته وقف امام اعضل المشاكل وسلط عليهـــا شعـــاعا كشافا ، وحلا عادلا ، وبلسما شافيا تطمئن اليه القلوب .. يبرهن على ذلك الآتى :

اختلفت قريش فيمن يكون له شرف وضـــع الحجر الاسود مكانه ((عند تجديد الكعبة)) وكادت ان تنشب حرب بينهم لولا ان قيض الله لهم كبيرا فى السن والعقل .. نادى بأعلى صوته : يا معشر قريش تراضـــوا على ان يحكم بينكم

أول قادم من باب بنى شيبة ، فكان ((محمد بن عبد الله)) اول الداخلين ، فعرضوا عليه قضيتهم فسرعان ما فــرش رداءه ووضع الحجر الأسود عليه ، وأمر رئيس كل قبيلة أن يحمل من طرفه . . وما زال يقــرب بين ايــديهم حتى وضعوه جميعا موضعه . وبذا احل الوئام محل الخصام ، واحل الوفاق محل الفرقة ، بثاقب رأيه ، وسديد حكمته .

* * *

وجاء شاب فقير لا يستطيع الزواج يلتمس منفذا يبيح له الزنا ، فقال له الرسول : اترضاه لاختك ؟ ! . . اترضاه لأمك ؟ . . وهو يجيب لا ، لا . فقــال له الرســول : فلم ترضاه لاخوات الناس وامهاتهم !



وسأسوق لك مثلا ثالثا اعمق من هذين :

عند توزيــع غنــائم حنين اعطى اكثرها لمن ضعيف إسلامهم ، ليتألفهم ، بل ولاناس لم يسلموا ، ليحبب إليهم الاسلام اذا كسر اصنامهم التى كانت مورد رزقهم ، فجال فى نفس الانصار شىء من التأثر . . وقالوا : يعطى قريشــا ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأمر بجمعهم وقال لهم بعد أن سلم عليهم . وبش فى وجوههم : (يا معشر الانصــار ما مقالة بلغتنى عنكم ؟ ! الم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغنــاكم الله ، واعداء فألف الله بين قلوبكم !! اغضبتم يا معشر الانصــار

لشيء قليل من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ؟! ألا ترون أن يذهب الناس بالشاة والبعير الى رحالهم وترجعون انتم برسول الله الى رحالكم ؟ !) فبكوا وقالوا ((رضينا برسول الله قسما ومغنما)) .

* * *

فماذا تقول الالسن والاقلام فى تقريظك يا رسول الله بعد آى الكتاب التى اعلت ذكرك ، وخلدت فضلكَ ، وجعلت اسمك على الشفاه شهادة ، وفى القلوب عبادة ، وفى المحراب صلاة ، وفى الشـــدة نجاة .. فجزاك الله عن الاســـلام والمسلمين ما انت له اهل .. وسلام عليك سيدى ورحمة الله وبركاته ..

عبد العزيز كامل الشهابى



تصدير

بقلم : عبد الجواد عبد المعطى رجب

هــذا الانسان .. بعــد جريه اللاهث فى الحياة ، وسعيه اللاغب فى تحقيقها .. أتراه قد سأل نفسه : فى أى سبيل ذلك الاندفاع الدءوب ؟ وأى أهداف يريدها من وراء جهــوده الشاقة العنيفة ؟.. ذلك أنه قد يتخبط فى المسعى .. فيغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضــها فوق بعض .. يضرب فى التيه ، أخماسا فى أسداس .. أمــلا فى البحث عن شاطىء الأمان ..

ولكن .. أتراه ، قد اهتــدى السبيل القصد ، ليواصــل مسيرة الانطلاق ؟ وأنى له ذلك وليس يصحبه المرشد الناصح والهادى الامين ؟..

هلا كان سعيه المثابر متجها الى غرض أطهر وأعز وأسمى ؟..

أفلا كان الصحيح أن يعمد الى هدف أنبل وأجل وأبقى ؟ ! أى الى ايمان موصول بالأسانيد ، مدعوم بالبراهين ، قوى بالحجاج ، مرتبط بمصــدر الحياة والأحياء ، مطمئن الى بارىء الارض والسماء ، وخالقهما جل وعلا ..

ان الحيــاة لتبدو تافهة القيمة ، مبتورة الهــدف ، معدومة النفع ان لم تكن مشدودة بمنشئها الأول ، وقدوســها الاجل الاعظم ، من بيده الاقدار والآجال ، والاحياء والافناء ، والأمر والنهى ، والسلطان النافذ الشامل ، ومن يقول للشىء كن فيكون ...

ان التفكير الحر المستنير ، والعقل اليقظ الواعى ليربط دائما السبب بالمسبب ، والمخلوق بالخالق ، والنظام بصاحب النظام ، والابداع والجمال والجلال بذى الابداع والجمال والجلال ...

لقد كشف العلم بأسلوبه المتيقن ، وتجربته المحققة ، أن النظام الكائن فى الذرة يشابه النظام الموجود فى المجرة .. ومعنى ذلك فى وضوح أن المكون والمنظم فى كل منهما واحد .. وهو الله سبحانه وتعالى ...

يقول سيسل هامان :

« الحق انه ما من قطرة الماء التى رأيناها تحت المجهر ، الى تلك النجوم التى شاهدناها خلال المنظار المقرب ، لا يسع الانسان الا أن يمجد ذلك النظام الرائع ، وتلك الدقة البالغة والقوانين التى تعبر عن تماثل السلوك وتجانسه .. وكلما وصل الانسان الى قانون جديد ، فان هذا القانون ينادى قائلا : ان الله هو خالقى وليس الانسان الا مكتشفا » .

الله أكبر ، وتباركت آياته ، وعمت العالمين نفحاته ..

ان منهج العلم الصحيح يسير فى الطريق اللائق به ، والمناسب — بجدارة — لشريف رسالته ، ونبيل قيمته ...

ان الأمر لجليل .. فدعم الايمان بفتوحات العلم ، التى أضحت حقائق باهرة ، والتى تزكو كل يوم وتكثر .. أصبح لزاما واجبا فى عنق المحققين العلماء ، والراسخين الأذكياء ، حتى تغدو ألوية الحق وتروح عالية خفاقة ، فى سماء الفكر الأصيل ، والعلم المنصف النبيل ، وفى حراسة الضمير الحى ، والعقل الحر الرشيد ، والقلب المفتوح دائما ، لاستقبال الفجر الصادق ، والنور المبين ...

وان كتاب « للكون اله .. مدخل الى التوحيد » لمؤلفه فضيلة الأستاذ الشيخ « عبد العزيز كامل الشهابى » هاه علامة على الطريق الصحيح ،

ونفحة مباركة من نفحات الايمان الصادق .. فقد ذكر فيه جملة من البراهين الصادقة الحية الميسرة التى تثبت وجود الله عز وجل .. ثم تعرض لشبهات قد تطرأ لأذهان البعض ولا سيما الشباب ، ومتوسطى الثقافة .. فأجاب عنها فى سهولة ويسر .. بأسلوب حلو رشيق ، وعبارات تنساب الى القلوب انسياب الماء البارد على الظمأ اللافح .. دون حاجز أو مانع .. ولا غرو .. فما جاء من القلب وقع فى القلب .. ثم ذكر أدب العبودية لله رب العالمين .. ولله در الشيخ فى وعظه وارشاده اللطيف الغالى .. ينتظم كحبات الدر واللآلىء .. وانه لشرف أى شرف ، أن يتخلق العبد بأخلاق ربه ، ويهتدى بآدابه .. وعندئذ يكون عبدا حقيقيا للمولى سبحانه وتعالى .. ورحم الله القـــائل :

وممـــا زادنى شرفا وتيهـــا ... وكدت باخمصى اطـــــا الثريا

دخولى تحت قولك يا عبـــادى ... وان صيرت ((أحمـــد)) لى نبيا

أسأل الله عز شأنه للمؤلف الفاضـــل أن يثيبه على علمه ، ويجزل عطاءه ، ويجعلنى وإياه ، والمسلمين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما .

راجى عفو ربه

عبد الجواد عبد المعطى رجب

من علماء الأزهر الشريف

تقـديـم

شاء الله .. ولا راد لمشيئته .. أن أكتب فى العقيدة .. وهو مجال واسع على .. ولكنى اضطررت اليه اضطرارا حينما رأيت الشباب ، وهو يعيش فى رحاب دولة ((العلم والايمان)) لا يقبل من المعتقدات الا ما يقنع عقله ، ويرضى طموحه ، ويساير تقـدمه ، ويجارى تطوره ، ويفتح آفاق فكره ، ويطلق طاقاته الكامنة ليندفع الى السمو الروحى والكمال المادى .

فى هذا العصر .. تهفو نفســه الى دين موثوق بأصله من جهة ، وقادر على أن يسمو به الى الكمال المادى والروحى من جهة اخرى . . ولعل فى تـلك الكلمات ما يحقق له نشدته ، وما يرجوه من كمـال ورفعة .. ولن يكون ذلك ممكنا الا اذا صحت عقيدته ، ورأى فيها انها تحارب الظلم والبغى ، وانها لا تهـدر كرامة الانسان ، ولا تهتك الحرمات ، ولا يشعر فيهـا ضعيف بظلم ، ولا يحس فقير بضياع .

والحـق ان العقيدة السليمة توحى بالتوحيـد الخالص ، وتفرض عبادة الله .. الواحد الاحد ، الذى تعنو له الوجوه ، فيحيا صاحبها حياة لا حسد فيها ولا

حقد ، لا رفث فيها ولا فسوق ، لا سرف فيهـــا ولا ترف ، حياة كلها بذل وعطاء ، وكرم وايثار ، لا خمر فيها ولا قمار ، ولا جهل ولا امية ، ولا تفـــــرقة ولا عنصرية .. الكل ينشد العدل والحق والحرية ..

نعم ان العقيدة السليمة تقدم للناس كل هـــذه الحسنات .. لأن سلوك الانسان وتصرفاته فى الحياة مظهر من مظاهر عقيدته .. فان صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام .. وان فسدت فســـد واعوج .. ثم فكان الطمع والشره ، والجشـــع والانانية .. لـــذا اقدمت على طبع كتابى هذا ، والله المستعان .

وبعـــد ....

فالايمان بالغيب عسير على كثير من الشباب ، لانهم يقيسون اموره بمقياس عقولهم ، فرأيت طــرق هذا الموضوع بحديث مبسط يكفل سهولة تنـــاوله ، وادراك ما اهدف اليه .

والله ولى التوفيق .

المؤلف

عبد العزيز الشهابى

الله

أكبر من أن يقاس بالناس
أو يدخل تحت القياس
أو تدركه الحواس

أسئلة حرجة ؟!!

- كيف تخلو ذات الله عن الحلول والتجسيم
- وكيف يخلو كلامه من الحروف والأصوات
- وكيف يكون متكلمًا دائمًا

أسئلة حرجة ؟!!

كيف تخلو ذات الله المقدسة عن الحلول والتجسيم ؟
وكيف يخلو كلامه من الحروف والاصوات ؟
وكيف يكون متكلما دائما ؟

هذه الاسئلة وامثالها وجهت الى من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية .. فهززت راسى أسفا وقلت أن من يكلف عقله ان يعرف شيئا عن ذات ربه كمن يكلف نملة ان تحمل اهرام الجيزة .. فالنملة وهى مخلوقة .. ولها كبد ومرارة وعينان .. أتستطيع أن تعرف عن المذياع .. كيف احكمت صماماته ، ورتبت ادواته .. مع ان مخترعه مخلوق مثلها ؟ ...

وهل تعرف شيئا عن الاثير الذى يحمللنا الاصوات من سائر بقاع الارض ؟ ..

وهل تعرف شيئا عن موجب الكهرباء وسالبها مع ان كاشف هذه الخصائص مخلوق مثلها ؟..

ولو توصلنا الى مخاطبة طفل فى بطن امه واخبرناه بأن الله خلق شمسا وقمرا وكواكب سيارة .. فهل يصدق؟!

اظن ذلك بعيدا لان عالمه خلو من كل هذا فكذلك نحن محصورون فى بطن امنا الكبرى « الارض » .. فلا يكاد بعضنا يصدق ما يحوط الذات العلية من جلال وعظمة ، وفيما يتصل بأدلة وجود الله عز وجل .. فانك اذا نظرت الى مصباح كهربى ووجدته مضيئا فلابد من ان تكون على يقين من أن هناك آلات تعمل ، ومهندسين يشرفون ، وخطوطا يمتد عبرها التيار الكهربائى .. ولا يتوقف هذا اليقين على رؤية الآلات والمهندسين والخطوط .. فهى موجودة وان كنت لا تراها .. على اساس انه لابد لكل صنعة من صانع .. ونحن مكلفون ان نتعرف الى وجود الله واتصافه بكل كمال عن طريق النظر فى هذا « الكون » وهو كتاب الله الصامت ، وفى (القرآن) وهو كتاب الله الناطق . . والاستجابة لصوت الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها . . وليسنا مكلفين أن نعرف حقيقة الذات الالهية فذلك شيء فوق مستوى عقولنا .. ولهذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » .. وكلنا عاجز عن فهم روحه التى بها يعيش . . فكيف يتطلع بعقل قاصر الى فهم ذات العلى العظيم .

فضلا عن بطلان هذه الأسئلة وأمثالها منطقيا لانك اذا سألتنى مثلا اين الله ؟ او متى وجد الله ؟ وسألتك انا : اين سيارتك ؟ او متى وجدت سيارتك ؟ فقلت : هى فى الجراج .. فمعنى ذلك ان الجراج وجد اولا ثم وجدت فيه السيارة بعد ذلك .. وفى الاجابة تصور سبق المكان على

وجود الله .. ولا يتصور سبق المخلوق على الخالق .. فالله سبحانه موجود بغير بداية ، وباق بغير نهاية .. ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)) .

وقبل أن نخوض فى الكلام أسائل نفسى :

ـ ما الدليل على وجود الله ؟.

١ ـ قال اعرابى من قبل ميلاد رسول الانسانية صلى الله عليه وسلم : **البعرة تدل على البعير .. واثر السير يدل على المسير .. أسماء ذات ابراج ، وارض ذات فجاج افلا يدلان على اللطيف الخبير .**

٢ـ وقال حكيم عندما سار فى واحة لا تحوى الا شجر التوت وسبح عقله متأملا : **سبحانك ربى يأكل الدود اوراق هذه الاشجار فيخرج لنا حريرا ، وياكلها النحل فينتج شهدا ، وتأكلها النعجة فتأخذ منها لبنا ولحما ، وتتناولها الغزالة فتعطينا مسكا .. مع أن عصارة الأوراق بعد الهضم واحدة .. فلو كانت الامور بالطبيعة لكانت خلاصة الطعام واحدة ((انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)) .**

٣ ـ وقالت العلماء :

كل صنعة تحتاج الى صانع يصنعها . . فمن الذى صنع الماء والهواء ، ومن الذى خلق السموات وزينها بالنجوم الزاهرة ، ومن الذى خلق الأرض وأبدعها بالنباتات

الناضرة ، ومن الذى اجرى المياه الجـارية ، وارسى الجبـال العالية ، وخلق الانسان وصوره ؟ ! ..

٤ ـــ يد من التى امتدت الي سنبلة القمح فغلفت حباتها حتي لا تتساقط فى ورق غضروفى لا يتلفه المطر ، وحصن كل حبة بشوكة حتى لا تكون غذاء للطير وهى مقدرة ان تـكون غذاء للانسان ؟ ! .. ولو انصت المخلصون لتسمعوا كل ذرة من دقيقها يقول : سبحان من جعلنى طعاما لفلان .

٥ ـــ ويد من التى امتدت الى كوز الذرة فصفت حباته صفا متقنا ، وثبتتهـا فى ((قولحته)) ، وحاطتهـا بأغلفة متعـددة تحفظها ، ومنحتهـا هواء بواسطة انابيب دقيقة ((الشرابة)) ؟ !.

٦ ـــ ويد من التى امتدت الى عين الانسان فجعلتها فى علبة منخفضة من العظم لئلا تتعرض للتلف والهـلاك ، وظللتها برموش تدفع معاكسة ضوء الشمس لها ، وحاطتها باهداب تمنع تساقط العرق فيها ، وغطتها باجفان ، وجعلت لها ماء ملحا ((الدموع)) حولها لئلا يلحقها النتن ؟ ! ..

٧ ـــ ويد من التى جعلت ماء الاذن مرا لئـلا تتسرب الحشرات اليها والانسان نائم ، فتتلف طبلتها وجعلت ريـق الفم عذبا مع ان الماء الذى نشربه واحد ؟ ! ..

٨ ـــ ويد من التى امتدت الى مفاصل الجسـم فجعلت لكل مفصل قطعة شحم تسهل حركته بقدر معلوم ؟ ! ..

٩ ـــ ويد من التى اتقنت لسـان المزمار (البلعوم)

بحيث يسد قصبة الهواء عند دخول الطعام والشراب ، ويسد مسلك الطعام عند دخول النفس .. ويد من التى جعلت اللسان عند خروج الهواء من الجوف يضغط عليه فى جوانب الفم فينتج صفيرا وهذا الصفير يكون كلاما منظما يعبر عما فى الضمير من معان وخواطر .. واى جهاز وضع فى الانف حتى يميز بين الرائحتين الطيبة والخبيثة .. وأى جهاز وضع فى الاذن حتى يميز بين الاصوات المتعددة وهى قطعة من اللحم .. ولو تأملت اللسان وخشونته لئلا ينزلق الكلام فيظهر غير مضبوط لأيقنت أن للكون الها .. وصدق من قال : ((نظرك فيك يكفيك)) وجل من قال : ((وفى انفسكم افلا تبصرون)) وحيا الله من قال :

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة
فابحث وقل : من ذا الذى يخرج منها الثمرة

***

وانظر الى الشمس التى جذوتها مستعمرة
فيها ضياء : وبها حرارة منتشرة
من ذا الذى اوجدها فى الجو مثل الشررة
ذاك هو الله الذى انعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

***

وانظر الى الليل فمن اوجد فيه قمرة
وزانه بأنجم كالدرر المنتثرة
وانظر الى الغيم فمن انزل منه مطره
فصير الأرض به بعد اغبرار خضرة

❋ ❋ ❋

وانظر الى المرء وقل من شق فيه بصره
من ذا الذى جهزه بقوة مفتكرة
ذاك هو الله الذى انعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

وقد يقول قائل بأن الكون مخلوق بالطبيعة ، ولا موجد له .. فنقول له : **ومن خلق الطبيعة ؟** ثم نقول : لو كانت الامور بالطبيعة لتساقطت اوراق الشجرة الواحدة ايام الخريف فى وقت واحد ، ولنضج ثمرها فى وقت واحد ، ولكانت ثمارها على حجم واحد لانها تروى بماء واحد ، ومسمدة بسماد واحد . وكيف يكون ذلك بالطبيعة والثمار مختلفات لونا وحجما وطعما ومظهرا ومخبرا .. فلو اخذت (قطاعا) من برتقالة ورأيت الجيوب (الفصوص) المملوءة بعصير من معصرة رب العالمين لدفعك ذلك الى ان تسجد لله فى وقت هبت فيه تلك الخواطر على عقلك .. سبحانك ربى .. ولو كانت الامور بالطبيعة والعادة لسعد موسى السامرى الذى رباه جبريل وشقى موسى بن عمران الذى رباه فرعون .. وحق ما يقول الشاعر :

اذا المـــرء لم يخـــلق ســـعيدا تخـــلفت
ظنـــون مربيـــه وخـــاب المـــؤمل
فمـــوسى الـــذى ربـــاه جبـــريل كافر
وموسى الذى ربـــاه فـــرعون مرســـل

وغيره قال مناجيا الحضرة العلية :

فما شئت كان وان لم اشا وما شئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ففى العلم يجرى الفتى والمسن
فهذا هديت وهذا خذلت وهذا اعنت وذا لم تعن
وهذا شقى وهذا سعيد وهذا قبيح وهذا حسن
وهذا قوى وهذا ضعيف وكل بأفعاله مرتهن

* * *

ولو كانت الامور بالطبيعة لما تخلف الاحراق فى نـار ابراهيم .. ولا القطع فى سكينته عنـدما اراد ذبح ولده تنفيذا لامر ربه .. ولما وجد سيدنا عيسى من غير أب .. ولما وجد سيدنا آدم من غير ابوين ولما وجدت سيدتنا حواء من غير ام .

ولو كانت الامور بالطبيعة لصدقت من يقول لك :

انى كنت فى غابة فرأيت شجرة قطعت من غير نجار ، ونشرت بغير منشار ، فصارت الواحا ، والصقت هـذه الالواح من غير ملصق فصارت سفينة ، ومشت هذه السفينة من غير ملاحين ، وادت عمـلا من شحن وتفريغ من غيـر حمالين ، ثم عادت فتفككت الواحا واجتمعت فصارت شجرة

.. أقيمت وزرعته مكانها ، وعادت اليها الخضرة والحياة ..
اتصدق من يقول هذا ؟ ..

انك ستقول : كيف اصدق هذه القصة وهى مشحونة بالاعاجيب .. اقل ما فيها كيف تسير سفينة من غير ملاح ..

وهنا يحق لنا ان نقول : وكيف يسير كون بشمسه ، وقمره ، وانسه وجنه ، وحيوانه ، ونباته مع اختلاف كل صنف طولا وقصرا ، وسلامة ومرضا ، وشجاعة وجبنا ، وبياضا وسوادا ، من غير اله يسيره ، ورب يرتبه ؟!...

ويحكم .. فالله اكبر من ان يقاس بالنـــاس . او يدخل تحت القياس . او تدركه الحواس .

ولقــد ذكرني ما يجــرى الآن فى محيط المتعلمين من تشكك بما حدث أيام تلمذة أبى حنيفة .. اذ كان يأخذ عن شيخه الاستاذ حماد .. وبينما التلميذ ابو حنيفة نائم اذ رأى فى منامه رؤيا مبهمة .. رأى خنزيرا يريد ان ينحت من ساق شجرة .. فمال غصن صغير ضرب الخنزير ضربة موجعة ، فابتعد صارخا ، ثم انقلب فى الرؤيا انسانا جلس فى ظل الشجرة يعبد الله .

ذهب الى شيخه ليفسرها له ، فوجده مغتما .. فسأله عن سبب غمه . فقال : جاء اشخـــاص ملحــدون (يعتقدون ان الكون مخلوق بالطبيعة وليس له رب) الى ملك هــذه البلاد وقالوا له : ارسل احد علماء الاسلام ليوضح لنـــا ان للكون الها . فاحضرنى الملك اليهم ، واتفقنا على مكان وزمن

نجتمع فيـــه لذلك .. ونحن يا بنى سنجادل فى اثبات ذات لا تراها العيون ، ولا تلمسها الايدى .. لهذا اخشى الفتنة على الناس .. فقال ابو حنيفة :

الآن عرفت تفسير رؤياى .. فالخنزير راس الملحدين يريد ان ينحت ساق شجرة العلم .. وهو انت . فمـــال غصن صغير (تلميذك) .. وضرب الخنزير بحجته فأسلم وتتلمذ عليك .. فدعنى انا اجادلهم .. فان غلبتهم .. فمـا بالك بالاستاذ !! وان غلبونى فانا التلميذ الصغير .. ولو جادلهم الشيخ لغلبهم .. فقال : على بركة الله .. فذهب التلميذ أبو حنيفة وقال للناس : ان الشيخ أكبر من أن يأتى لمثل هذه المسائل الواضحة . ولهذا اختار اصغر تلامذته ــ وهو انا ــ لمجادلتكم .. وستجدون بعون الله اجابة اسئلتكم واضحة .. فوجهوا اليه عديدا من الاسئلة اذكر منها الآتى :

السؤال الأول :

س : فى اى سنة ولد ربك ؟

جـ : الله لم يولد والا كان له ابوان .. وكتـــاب الله يقول « لم يلد ولم يولد » .

س : فى اى سنة وجد ربك ؟

جـ : الله موجود قبل الازمنة والدهور « لا اول لوجوده »

س : نريد ضرب أمثلة من الواقع المحس لتوضح لنا الاجابة ..

جـ : ماذا قبل الاربعة فى الارقام الحسابية ؟

قالوا : ثلاثة .

قال : وماذا قبل الثلاثة ؟.

قالوا : اثنان .

قال : وماذا قبل الاثنين ؟.

قالوا : واحد .

قال : وماذا قبل الواحد .

قالوا : لا شيء قبله .

فقال لهم : اذا كان الواحد الحسابى لاشيء قبله . فما بالكم **بالواحد الحقيقى وهو الله تعالى ..** « انه قديم لا اول لوجوده » .

* * *

السؤال الثانى :

س : فى اى جهة يتجه وجه ربك ؟

ج : لو احضرنا مصباحا فى مكان مظلم فى اى جهة يتجه نوره ؟

قالوا : فى جميع الجهات .

قال : اذا كان هذا حال النور الصناعى .. فما بالكم بنور السموات والأرضين ؟ !.

السؤال الثالث :

س : عرفنا شيئا عن ذات ربك اهى صلبة كالحديد . ام سائلة كالماء ، ام غازية كالدخان والبخار ؟

جـ : هلا جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الاخير (الموت) ؟

قالوا : جلسنا !!

قال : كان يكلمكم فصار بعد الموت ساكتا . وكان يتحرك فصار ساكنا فما الذى غير حاله ؟

قالوا : خروج روحه .

قال : أخرجت وانتم موجودون معه ؟.

قالوا : نعم .

قال : صفوا لى هذه الروح .. أهى صلبة كالحديد ؟ أم سائلة كالماء ؟ أم غازية كالدخان والبخار ؟..

قالوا : لا نعرف شيئا عنها .

قال : الروح — وهى مخلوقة — لا يمكنكم الوصول الى كنهها .. أفتريدون منى أن أصف لكم الذات الالهية ؟.. ان ذاك لعجيب .. وانا بدورى اقول : اذا كانت النملة (مثلا) لا تعرف سر الفوارق التى تركها المهندسون فى قضبان القطر الحديدية لتمدد الأجسام بالحرارة وانكماشها بالبرودة ، فكيف تحملون عقولكم كل هذه المتاعب ؟ ! ..

* * *

السؤال الرابع :

س : فى اى مكان ربك موجود ؟ ...

جـ : لو احضرنا كوبا مملوءا بلبن محلوب الآن .. فهل فى هذا اللبن سمن ؟

قالوا : نعم .

قال : واين يوجد السمن فى اللبن ؟

قالوا : ليس له مكان خاص .. بل هو شائع فى كل جزئيات اللبن ..

قال : اذا كان الشىء المخلوق وهو السمن .. ليس له مكان خاص .. افتطلبون ان يكون للذات الالهية مكان دون مكان ! ان ذاك لعجيب ! .

* * *

السؤال الخامس :

س : اذا كانت كل الامور مقدرة من قبل ان يخلق الكون .. فما صناعة ربك الآن ؟ ..

جـ : امور يبديها ــ يظهرها ــ ولا يبتديها . . يرفع اقواما ويخفض آخرين .

* * *

السؤال السادس :

اذا كان لدخول الجنة اول : فكيف لا يكون لها آخر ونهاية ؟ (بل ان اهلها خالدون فيها) .

جـ : الارقام الحسابية لها اول وليس لها نهاية .

السؤال السابع :

س : كيف نأكل فى الجنة ولا نتبول فيها ولا نتغوط ؟

جـ : انا وانت .. وكل مخلوق مكث فى بطن امه تسعة اشهر يتغذى من دماء امه ولا يتبول ولا يتغوط .. فمن حيوان منوى لا يرى الا بالمجهر الى شخص يملا يد القابلة ــ (الداية) ــ او الطبيب .

* * *

السؤال الثامن :

س : كيف يتأتى ان تزاد خيرات الجنة بالانفاق منها ولا يمكن ان تنفد ؟

جـ : خلق الله شيئا فى الدنيا يزداد بالنفقة منه وهو العلم .. فكلما انفقت منه زاد ولم ينقص .

* * *

الاسئلة التاسع والعاشر والحادى عشر :

س : ارنى ربك ما دام موجودا . .والشيطان مخلوق من النار وسيعذب بالنار .. فكيف تعذب النار بالنار ؟ .. والشر والخير مقدران على الانسان . . فلم الثواب ولم العقاب ! ؟ ...

جـ : ان الاجابة على اسئلتكم الثلاثة تحتاج الى وسائل ايضاح .

فقالوا : هات ما شئت .. فمال واحضر طوبة من

الارض وهوى بها على راس زعيمهم بضربة مؤلمة .. فحضر الوزير مسرعا مستنكرا ما حدث : فقال ان ضربه وسـيلة لتوضـيح الاجابة على أسئلته .. فقالوا : كيف ؟ فقـال : هل احدثت هذه الضربة الما ؟ فقال الملحد : نعم .. فقال : واين يوجد الالم ؟ قال فى الجرح .. فقال ابو حنيفة : اظهر لى الألم الموجود فى الجرح فأظهر لك الرب الموجود فى الكون .. والطوبة من طين وأنت مخلوق من طين .. (اذ مادة والدك التى خلقك الله منها نشأت من الغذاء والغذاء من عناصر الارض ..) فكيف عذب الطين الطين !! وضربك مقدر فلم استغثت ليلحقوا بى العقاب . .

عند ذلك اسلم رئيس الملحدين واحجم زملاؤه فقـال التلميذ ابو حنيفة شعرا :

فيالك من آيـات حـق لـو اهتـدى
بهـن مريد الحـق كـن هـواديا
ولكن على تلك القـلوب اكنة
فليست ــ وان أصغت ــ تجيب المناديا

فيا مولانا .. عرف مقامك الجميع الا الآدميين .. فهذه ملائكة السماء يخبر عنها سفيرك صلى الله عليه وسلم فيقولون : « ما من موضع اربع اصابع فى السماء الا وفيه ملك راكع او ساجد للعظمة الالهية .. فاذا ما نفخ اسرافيل فى الصور ارتعدت فرائصهم وقالوا : سبحانك .. ما عبدناك حـق عبادتك » .

ولقد كان جبريل وميكائيل فى زيارة رسول الله صلى

الله عليه وسلم فوجد ميكائيل غير باش .. فاستفهم من جبريل : ما بال اخى ميكائيل لا يضحك فقال ما ضحك منذ خلقت النار .. مع أن الله يقول فى شأن الملائكة : « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » . ويقول : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » ويقول ايضا : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » .

وكتاب الله عز وجل نقل لنا خشوع الكائنات لرب الأرض والسماء فقال « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وقال : « الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » .. فالجبال أعلت صوتها بالتسبيح لتشارك سيدنا داود عبادته فقال تعالى : « يا جبال اوبى معه والطير » .

ولو نظرت الى الآدمى الذى كرمه الله بالعقل ، وسخر له العوالم الاخرى ، لخدمته كما اخبر بذلك فى قرآنه « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» لوجدته يلبس أفخم الملابس ، وما سواه من الحيوان والحشرات عريان .. وينام على وثير الفراش ، والحيوان فى حظيرته نائم على الاتربة المبللة الملوثة .. ويركب — واضعا ساقا على ساق — والحصان يلهب ظهره ورأسه بالسياط !! لو تأملت حاله لأخذك العجب العجاب من فجوره وجحوده وانحرافه وجرأته على ربه .. ولقد صور ذلك الحديث القدسى القائل : « انى والانس والجن فى نبأ عظيم .. اخلق ويعبد غيرى ، وارزق ويشكر

سواى .. خيرى الى العباد نازل ، وشرهم الى صاعد . اتحبب اليهم بالنعم .. وانا الغنى عنهم ، ويتبغضون الى بالمعاصى . وهم احوج شىء الى .. من جاءنى منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى منهم ناديته من قريب ، أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل محبتى ، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى .. فان تابوا الى فأنا حبيبهم وطبيبهم .. فانى احب التوابين واحب المتطهرين » .

تراه وهو المغمور فى النعم « وان تعدوا نعمة اللـه لا تحصوها » غير شاكر ، وغير مقدر .. مع ان الشكر هو الفائدة المجربة لزيادة النعم ودوامها « لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » . « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما » .

والشيطان قد توعد الآدميين بصرفهم عن الشـكر « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين » . مع انه لو حرم نعمة الامن ، او نعمة الصحة او نعمة اليسر لعاش منغصا قلقا مضطربا ، لا يهنأ بعيش ، ولا يستسيغ للحياة لذة .. وهذا قول رسولنا صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمنـا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت اليه الدنيـا بحذافيرها » .

* * *

ابن السماك يعظنا

ويبرهن على ذلك ايضا ما كان من ابن السماك الذى دخل على احد الملوك وهو آت من رحلة صيد لم يتيسر له فيها الماء العذب .. فلما عاد طلب الماء ليشرب ، واستعجله مرتين .. فلما ناوله الخادم الكوب تقدم ابن السماك فأمسك بهـا وقال : استحلفك بالله . .لو منعت هـذه الشربة ، فبكم تشتريها ؟ ! فأجاب : بنصف ملكى .. قال ابن السماك : ولو منعت خروجهـا من جوفك فبكم تشترى خروجها ؟ ! قال : بملكى كله . قال : اشرب هنأك الله : **واف لملك لا يساوى شربة ماء .**

والمؤمن الحازم فى مكنته ان يفشى الكثير من الخير ان وقف عند اوامر ونواهى مولاه (عجبا لامر المؤمن .. ان امره كله الى خير .. ان اصابه سراء شكر فكان خيرا وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا) .

ولكن من المؤلم حقا ان ترى الآدمى جريئا على عصيان خالقه ، غير خائف من بطشه ومؤاخذته .. فتمتد يده الى ما ليس له ، مع ان سفير الحضرة العلية يقول « من اقتطع حق امرىء مسلم بيده كان حقا على الله ان يدخله النار » ، فقالت الصحابة : ولو كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ قال : « ولو كان عودا من اراك » ـ وما ارخصه فى موطن انباته ـ .

ولقد قال ايضا : « طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره .. طوبى لمن انفق الفضل فى ماله ، وامسك الفضل من قوله .. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن عمل بما علم » .

ويفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشخاص صححوا عبوديتهم .. فهذه اخت بشر الحافى تسأل واعظا قائلة : تمر علينا مشاعل الظاهرية .. افيحق لنا الغزل فى نورها ؟ قال لها من انت ؟ قالت : انا اخت بشر الحافى . قال : من بينكم يخرج الورع الصادق .. لا تغزلى فى نورها .. وما احكمك يا رسول الله حين قلت : « مكتوب فى التوراة : من لم يبال من أين مكسبه .. لم يبال الله من أى أبواب النار يدخله » .

وقوله صلوات الله عليه : « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما فيه بأس » .

آلة التسجيل الإلهية

والف حسرة على هذا الانسان الذى يغفل عن مشاهدة الله له وقت انحرافه ، ولم يخف آلة التسجيل الالهية التى تسجل عليه اقواله ، واعماله ، ونياته : ((**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**)) .. ((**أحصاه الله ونسوه**)) .. ((**انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**)) . ولو كان الانسان سعيدا حقا لراعى شعور نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم واستحيا ممن يسبحه كل شيء ، ويسجد لعظمته كل مخلوق .. فيقشعر منه

البدن ، ويصفر منه اللون : « اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها » ، فيفوز ويسعد .

العبادلة يكافئون عبداً خاف الله !..

بل وبجوار هذا الأمن الاخروى ، عطاء دنيوى ، فلقد ورد فى الاثر ان العبادلة (عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عمرو بن العاص) خرجوا للنزهة فصادفهم راع يرعى غنما لسيد فقالوا له (ممتحنين اياه) : اعطنا شاة نتغذى بها .. فقال : انها ليست ملكى . فقالوا : خذ ثمنها لنفسك وقل لصاحبها : قد اكلها الذئب .. فحملق فى وجوههم متعجبا . قائلا : واين الله ؟ ! واين الله ؟ ! .. وما زال يكررها ، ويضرب الغنم يستحثها على سرعة السير حتى دخل بيت سيده .

ولقد اقتفوا اثره حتى دخلوا على مالك الغنم والعبد ، فرحب بهم ، وفرش لهم رداءه .. واراد ان يقدم لهم القرى (الطعام والشراب والحلوى) ، فقالوا : ما لهذا جئنا !! ولكنا نستفهم منك فأجبنا .. بكم اشتريت غنمك ؟ فقال : بمائة دينار . وبكم اشتريت العبد ؟ قال بخمسين دينارا . فزادوه على ثمنها حتى باع الغنم والعبد لهم . وقالوا للعبد أنت حر لوجه الله .. وهذه الغنم هدية لك .. ولقد أعتقتك كلمتك فى الدنيا ونرجو أن تعتقك فى الآخرة .. وانصرفوا ..

* * *

كلمة صيرت الشقى وليا !..

ومثلها ما حصل فى احـــدى القـــرى ، من ان اخوين يشتغلان فى حقلهما وحضر لهما طعام الغداء ، وبعد تناوله اراد الاصغر ان يحضر بعض عيدان من قصب جاره ليرتشفاها فحاول الاكبر منعه فلم يمتثل .. وذهب ولكنه عاد بغـــير قصب ، فسأله الاكبر عن السبب ؟ فقال : وجدت الطفـــل (فلانا) فى حراسته . فقال له : والله لو شممت ثياب هذا الطفل لوجدت اثر بوله على نفسه بالليل !! فاستحييت من طفل يبول على نفسـه ، ولم تستح من رب الارض والسماء !! فلمست هذه القولة شغاف قلبه فخر باكيا متـــأثرا ، ولم يستطع مزاولة العمل .. وعاد الى المنزل محمولا تائبا ، وصار من كبار المؤدبين مع ربهم .

وهل بعد ان يحلف الله بعزته التى من استعز بها لا يضام ، وبجلاله الذى خضع له كل شىء يقدم احـــد على معصيته !! « وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى امنين ولا خوفين .. فمن خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة ، ومن امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة » .

ورحم الله عمر اذ يقول : « من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يفعل ما يريد ، ولولا القيامة لكان غير ما ترون » .

ورحم الله عليا اذ يقول : « التقوى هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، واستعداد ليوم الرحيل » .

وغيره قال : « التقوى : الا يراك ربك حيث نهاك ، والا يفقدك حيث امرك » .

شروط قبول العمل

واذا كان العمل الصالح لا يقبله مولانا الا اذا كان محاطا بأربعة انواع من الخوف .. فما بالك بالعمل القبيح :

الأول : خوف عدم التسليم والمجىء به الى الموقف لان الله يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » ولم يقل عمل الحسنة فله عشر امثالها .

الثانى : خوف عدم الاخلاص فيه .. لان الله يقول : « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

الثالث : خوف عدم التوفيق « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت »

الرابع : خوف عدم القبول « انما يتقبل الله من المتقين » .

قيمة قلبك

فلزاما على الشخص ان يراعى الله فى قلبه فينقيه من الحقد ، والكبر ، والرياء ، والحسد .. لانه موضع تفتيش ربه

« ان الله لا ينظر الى صوركم ، ولا الى اموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » ، ويا ليت الامر يقف عند التفتيش فقط بل هى الملازمة التى تفهم من الحديث القدسى : « لم تسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » .

القلب مصنع النيات

والقلب حقل تزرع فيه العقيدة فلا يصح ان تزاحمها فيه هذه الكبائر .. واول ما ظهرت الحكمة على لسان لقمان ان قال له سيده : اذبح هذه الشاة واتنا بأحسن ما فيها .. فأتى لهم بالقلب واللسان .. وبعد فترة اعطاه شاة وقال له : اذبحها واتنا بأخبث ما فيها فأتى لهم بالقلب واللسان .. فلما رأى علامة التعجب على وجهه قال : هما نعم العضوان .. ان صلحا ، وبئس العضوان إن فسدا ..

وفضلا عن ذلك فان القلب يحتوى على مصنع النيات فان نوى طيبا حصد خيرا من غير تعب .. مصداق ذلك ما روى ان عابدا من بنى اسرائيل علم ان قومه فى مجاعة .. فخرج الى قمم الجبال يضرع الى الله تعالى أن يفرج كربتهم وأن يغيثهم .. وبينما هو سائر اذ مر بواد ملآن برمل أبيض ناعم يشبه الدقيق .. فقال لربه : مولاى لو ابدعت هذا الرمل دقيقا ، وجعلته ملكى ، والله لوزعته على قومى .. فأرسل الله جبريل الى نبى هذه الامة ، قائلا : اخبر هذا العابد بأن الله قد كتب فى صحيفته حسنات ما لو كان هذا الرمل دقيقا وتصدق به .

الحاسد.. يهودى القلب شيطان

والعقيدة السليمة تنأى بك عما يهدمها ويفسدها مثل داء الحسد .. فالحاسد شر من اليهودى بل وشر من الشيطان .. اذ الحاسد يهودى القلب فيتمنى زوال نعمة الغير كما هو حال اليهود « ودوا لو تكفرون كما كفروا » . « ان تمسسكم حسنة تسؤهم » ... ولذا امرنا الله ان نستعيذ من الحاسد كما أمرنا أن نستعيذ من الشيطان ، فى سورتى الفلق ، والناس . مما يبرهن على ان الحاسد اخ للشيطان وقرين له فضلا عن كونه عدوا لنعم الله « الحاسد عدو لنعمتى ، متسخط لقضائى غير راض بقسمتى » .

ووصف رسولنا صلى الله عليه وسلم طريق السلامة لصحابى فقال : « ان قدرت على أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ..

موعظة عون للفضل

ولقد وعظ عون بن عبد الله الفضل بن المهلب فقال : اياك والكبر .. فانها اول معصية حصلت فى السماء : تكبر ابليس عن السجود لآدم فصار من المطرودين الملعونين الى يوم الدين ، واياك والحرص .. فانها اول معصية حصلت فى الجنة : حرص آدم على ان يأكل من شجرة الخلد (كما اقسم

له ابليس) فصار من المخرجين ، واياك والحسد .. فانها اول معصية حصلت فى الارض حسد قابيل هابيل فقتله فصار من الآثمين .. فاياك والكبر — واياك والحرص — واياك والحسد .

آفات الحسد

وقال الفضيل : خمس مصائب تلحق الحاسد قبل ان يلحق المحسود منها شيء :

اولاها : غم لا ينقطع ابدا .. فكلما مر على زراعة اخيه ووجدها ناضرة ، او على تجارة اخيه ووجدها رابحة ، او على بهائم اخيه ووجدها ولودا سمينة اتقدت النار بين اضلاعه .

ثانيتها : ان هذا الغم لا ثواب له ، مع أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصيب المؤمن هم ولا غم ، ولا نصب (تعب) ولا وصب (مرض) حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه » .. لكن غم الحاسد لا ثواب له عليه .

ثالثتها : غلق باب التوفيق .. اذ كيف يوفق الله شخصا معترضا عليه كأنه يقول لربه : لست بالحكيم تعطي الخلق لمن لا اذن له ، وتعطى الفلاحة لمن لا ولد له .. وصدق من قال : « الحاسد جاحد .. لانه لا يرضى بقضاء الواحد » .. ورحم الله الامام الشافعي اذ يقول :

الا قل لمن بات لى حاسدا   اتدرى على من اسأت الادب
أسـأت الى الله فى فعلـه   لأنك لم ترض لى ما وهب
فكان جـزائى ان خصـنى   وسـد عليك وجوه الطلب

ايعترض الآدمى على ربه وهو مخلوق من نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وفيما بين هذين يحمل العذرة (الغائط) .. البرغوث يقلقه ، والشرقة تميته ، والعرقة تنتنه ، وقد خرج من مجرى البول مرتين .. مجرى بول ابيه عند الشهوة .. ومجرى بول امه عند الوضع .

رابعتها : غضب الله : واذا غضب الله على شخص نادى جبريل فى الملا الاعلى والادنى « ان الله يبغض فلانا فأبغضوه » .. فيكتب له عدم القبول فى السماء والارض .. ومن يتحمل غضب الله !! ووراء ذلك نار الآخرة التى تستعيذ منها نار الدنيا فى تسبيحها فضلا عن الاثر القائل : لو وقعت شرارة من نار جهنم على دنياكم ما انتفعتم بها ابدا .

خامستها : غضب المخلوقين عليه فلا يتعاونون معه .

وابن سيرين يقول : يابن آدم .. لم تحسد اخاك !! فان كان قد اعطاه الله لكرامته عليه ، فلم تحسد من اكرمه الله ؟! .. وان كان العطاء استدراجا والمآل الى النار .. فلم تحسد من مآله الى النار ؟ . . وكتاب الله يقول : **((افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)) .**

ولقد مدح الله تعالى الانصار بنظافة قلوبهم من الحقد والحسد ، فقال : **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ،ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »** .

* * *

رجل من أهل الجنة

وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعظ الناس عقب صلاة العصر فقطع كلامه بغتة وقال : « سيطل علينا من هذه الجهة رجل من اهل الجنة » فاتجهت انظار الصحابة كلها الى هذه الناحية .. فاذا اعرابى ياتى فيلقى السلام ويصلى العصر وينصرف ، فلما كان اليوم الثانى بشرهم الرسول الكريم بهذه البشارة فوجدوه رجل الامس ، وفى اليوم الثالث كذلك ، فسار وراءه صحابى جليل فوجده من قرية « السنح » فتمهل عليه حتى جلس امام منزله والقى عليه السلام ، فقال له : تفضل يا اخا العرب ، فأجاب الصحابى دعوته ، ومكث عنده ثلاث ليال فلم يجده كثير صلاة ولا كثير صيام ولا كثير صدقة ، فقال الصحابى له : خبرنى بأزكى عمل عملته فانى سمعت بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لك ثلاثا بأنك من اهل الجنة ؟ فقال : هو ما ترى غير انى لا اجد فى قلبى غشا ولا حقدا على خير أعطاه الله لأحد ... فقال : هى التى بلغت بك .

مناظرة بين إبليس وفرعون

والادب الرمزى الصوفى يقول : قـــرع ابليس بـــاب فرعون ، فقال فرعون : من بالباب ؟ فقال ابليس : أتدعى الالوهية ولا تدرى من ببابك ؟ !! ففتح له وقال : ادخـــل يا ملعون ، فلما جلس قال له : هل على وجه الارض من هو شر منى ومنك ؟ اذ قلت : « انا ربكم الاعلى » .. وقلت : « ما علمت لكم من اله غيرى » . وانا من تعرف من عظيم جرمى .. فقال له : شر منى ومنك من يأتى اليه اخوه معتذرا ولم يقبل عذره .. وشر من ذلك من يتمنى زوال نعمة اخيه المسلم .

* * *

[illegible]

فيا تلاميذ محمد .. الذى باسمه تنطق ملايين الشفاه ، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات .. وهذه الشفاه ، وهذه القلوب به تنطق ، وله تهتز منذ الف واربعمائة سنة .. عليكم بالعبودية المؤدبة التى اولى سماتها التواضع لخلق الله والأدب معهم ، وأن تتذكروا ما يرويه نبيكم عن ربكم فى الحديث القدسى : « الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى .. فمن نازعنى واحدة منهما كببته فى جهنم ولا ابالى » فالمتكبر انما يسرق صفة مولاه التى تناسبه ، ومن انت حتى تسرق الجبار الاعلى الذى لا تأخذه سنة ولا نوم !!

❋ ❋ ❋

عبـــاد الرحـــــمن

الم تعلم ان التواضع اول صفات عباد الرحمن الـذين سيعاملهم الله برحمته ، ورقته ، وعطفه ، وحنانه « وعبـاد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا » ــ متواضعين ــ وان الجنة مسجلة لهم « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » .

ولو تأملت حال المتكبرين لوجدتهم غير موفقين لخير يعود عليهم « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق » فضلا عن كراهية الله للمتكبرين (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور) .. « انه لا يحب المستكبرين » .

ورحم الله القائل :

خفف الوطء مـــا اظـــن اديـــم الار
ض الا من هـــــذه الاجســـــــاد
وقبيـــح بنـــا وان قـــدم العهـــ
ـــد هـــوان الآبـــاء والاجـــداد
سر ان اســـطعت فى الهـــواء رويدا
لا اختيـــالا على رفـــات العبـــاد

وغيره قال :

تواضع تـــكن كالنجـــم لاح لنـــاظر
على صفحـــات المـــاء وهـــو رفيـــع
ولا تك كالدخـــان يعلو بنفســـه
على طبقـــات الجـــو وهو وضـــيع

* * *

موعظة من الفاروق

ورحم الله الفاروق عمر بن الخطاب اذ دخـــل المسجد فسكت المتكلم ووقف الجالس .. فاستاء لذلك وذهب لفوره الى المنبر ، ونادى الناس .. فلما اجتمعوا ، قال — بعد ان

حمد الله : لقد طوحت بذاكرتي الى الماضى فوجدتنى كنت أرعى غنما لبنى مخزوم بحفنات من تمر ، فاذا ما توانيت يوما جرى ورائى الخطاب بعكازته وقال : من أين أطعم خالاتك ؟ ! فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما زدت يا أمير المؤمنين على أن قصرت بنفسك . فقال : أنتم الذين حملتمونى على ذلك ... اردتم ان تنزعوا شجرة الكبر فى قلبى فأردت ان انزعها من جذورها .

شيخ لا يحسن الوضوء

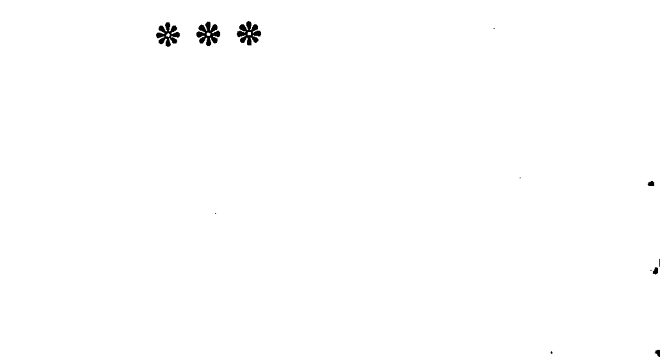
ورحم الله الحسن والحسين اذ رأيا شيخا لا يحسن الوضوء ، فأرادا ارشاده بطريقة لا تحمله ذل التعلم . فقالا له : يا سيدى الشيخ احكم بيننا فان كلا منا يدعى أنه يحسن الوضوء عن اخيه .. وتوضأ هذا واحسن ، وتوضأ الثانى واتقن .. وسألاه الحكم بينهما فقال : كلاكما محسن وانا المخطىء .. جزاكما الله خيرا يا آل بيت النبوة .

وخلق الكبر يعود بصاحبه الى الذلة ولو بعد حين .. فتكون العبرة والعظة .. يروى ان رجلا كان يسعى بين الصفا والمروة راكبا فرسا (قبل أن يصير المسعى فى المسجد) وبين يديه العبيد والغلمان توسع له الطريق ضربا .. فأثار بذلك غضب الناس وحملقوا فى وجهه ، وكان فاره الطول ، واسع العينين . وبعد سنين .. رآه احد الحجاج الذين زاملوه يتكفف الناس على جسر بغداد .. فقال له : الست الرجل

الذى كنت تحج فى سنة كذا وبين يديك العبيد توسع لك الطريق ضربا ؟ ! قال : بلى .. قال : فما غير من حالك ؟ ! قال : تكبرت فى مكان يتواضع فيه العظماء فأذلنى الله فى مكان تتعالى فيه الاذلاء .

وفى الآخرة اخبر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن المتكبرين يحشرون فى صورة الذر تطؤهم الناس هوانا على الله .

وكلنا يحفظ كلام استاذ البشرية « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » والذى سيفتش هذه القلوب هو من لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء .



درس من أستاذ البشرية

ورسولنا الكريم مع ما حفه الله به من الجلال والوقار كان متواضعا .. فلقد سارع فقال للرجل المرتجف عند دخوله عليه « هون عليك الأمر .. فانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . .وكثيرا ما شارك الرسول صلى الله عليه وسلم اخوانه في العمل فلقد روى انه كان مع اخوان له فى حرب وأراد ذبح شاة لغذائهم .. فقال أحدهم : انا على ذبحها ، وقال الثاني : وانا على سلخها ، وقال الثالث : وانا على طبخها ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وانا على جمع الوقود » .. فقالوا يا رسول الله .. اليس فى كثرتنا ما يغنينا عن تعبك .. وانت رسول الله وخير خاصته من خلقه فقال : « وليس من المروءة ان يستخدم المرء جليسه » .

بهذه الاخلاق الطاهرة تبوأت عرش القلوب يا رسول الله ، وسمعت من الاله الجليل « وانك لعلى خلق عظيم » .

فواجب المسلم الأول أن يتخلى عن الرذائل ، ويتحلى بالمكارم .. فالشخص بالخلق الكريم يدرك درجة الصائم القائم كما اخبر من لا ينطق عن الهوى .

ان رسولنا صلى الله عليه وسلم قد تحلى بالحلم واللين والتفهم بالحسنى ، فقال له ربه « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » هذا فى الدنيا ، اما فى الآخرة فسيجدتكريما ما بعده تكريم .. ويخبر عن ذلك رسولنا

الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول : « اذا كان الناس فى كرب الحساب ، نادى مناد : ليقم اهل الفضل ليدخلوا الجنة .. فتقوم اشخاص قليلون فتتلقاهم الملائكة : وماذا كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا اسىء الينا عفونا ، واذا جهل علينا حلمنا .. فيقولون لهم : ادخلوا الجنة .. نعم اجر العاملين » وهو القائل « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتد بعمله : تقوى تحجزه عن المعاصى ، وحلم يرد به سفه السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس » .

وفى احدى وصايا الله لموسى : « اصبر على خلقى وجفائهم كما صبرت على من اكل رزقى وعبد غيرى » .

ورحم الله ابا الدرداء اذ يصف الناس فيقول : ادركت الناس ورقا لا شوك فيه ، فاصبحوا شوكا لا ورق فيه .. ان خالطتهم نقدوك ، وان اطلت بينهم ملوك ، وان قمت عنهم اغتابوك .. قالوا : فما الحيلة ؟! قال : ترك الحيلة .. تقرضهم عرضك ليوم عرضك .

وهو القائل لمن سبه : لا تغرقن فى سبنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وصف ابا ضمضم الصحابى الجليل ، فقال : « ايعجز احدكم ان يكون كأبى ضمضم !! » قالوا : وما كان ابو ضمضم ؟ قال : « كان اذا اصبح يقول : اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك فلا تؤاخذهم بما يؤذوننى به » .

حياة الحكماء تشع نورا

ولو تصفحت حياة حكماء العرب لأخذك العجب .. فهذا معاوية يقول لعرابة : بم سدت قومك يا عرابة ؟! فأجاب : احلم عن جاهلهم ، واسعى فى حوائجهم ، واعطى سائلهم ..

ويقول معاوية ايضا : انى لا اضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا اضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولو ان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت .. قيل له : وكيف ذلك ؟! قال : اذا شدوها ارخيتها ، واذا ارخوها شددتها .

ولو قرأت خطاب عبد الله بن الزبير الذى ارسله الى معاوية (وهو امير المؤمنين) عندما دخلت عبيد معاوية اراضيه وافسدوا فيها : (اما بعد فيا معاوية .. ان عبيدك قد دخلوا ارضى فافسدوا فيها .. فانههم عن ذلك .. والا كان لى ولك شأن والسلام) . . فنادى معاوية ابنه يزيد وناوله الخطاب ليقرأه ، فلما قرأه ، قال له : ما رأيك فيه ؟ قال : أري إن نبعث له جيشا أوله عنده وآخره عندنا يأتونك برأسه ، فقال : غير هذا اليق ، ناولنى القلم والمحبرة والورق — وكتب له : (وصلني خطاب ابن حوارى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءنى ما ساءه ، والدنيا هينة عندى فى جنب رضاه .. ولقد نزلت عن أرضي فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال والسلام .)

---

(١) حوارى يعنى ناصر .

فلما قرأه عبد الله كتب الرد التالى : « وصلنى خطاب أمير المؤمنين ولا أعدمه الله الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل .. والسلام » . فلما ورد الخطاب ناوله يزيد وقال له : اذا ابتليت بمثل هذا فداوه بمثل ما داويته .

وان رجلا قد ذهب الى المأمون متظلما فوجده فى رحلة صيد ، فأسرع الى مكان نزهته ، فوجد ركبه مقبـــلا فاختبأ فى مقصبه .. فلما مر عليه المأمون خرج اليه بمظلته بغتة فأجفل حصان المأمون فوقع على الأرض وأحاطت الجند بهذا الرجل .. فنطق معتذرا ، قائلا : « ان المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الادب وهو كاره لتجاوزه ، ولو أحسنت الأيام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ، والأنت على رد ما لم تفعـــل أقدر منى على رد ما فعلت » فطمأنه المأمون ونظر فى مظلمته وأنصفه ورده مكرما .

ورحم الله الأحنف بن قيس اذ قيل له : ممن تعلمت الحـــلم ؟ فأجاب من قيس بن عاصم المنقـــرى .. اذ كنت فى ضيافته ، وبينما نحن مستغرقون فى الحديث اذ دخـــل جماعة يحملون قتيلا وآخرون يحملون رجلا مقيدا ، وقالوا : هذا ابن أخيك وقد قتل ابنك .. فوالله ما فك حبوته ولا قطع حديثه .. فلما فرغ من حديثه معى نظر الى بنيه وقال لهم : فكوا وثاق ابن عمكم ، وواروا أخاكم ، وادفعوا الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة .. ثم التفت الى ابن أخيه وقال له : لقد لطمت خدك بكفك ، وقللت من عددك ، وزدت فى عدد عدوك .. اذهب فشارك اخوتك فى تشييع جنـــازة أخيك ، ثم قال لأولاده : حـــذار أن يلحقـــه اى أذى .. ثم عاد الى مخاطبتى .

وهو القائل : ما ساءنى أحــد قط الا أخذته فى أمره باحدى ثلاث : فان كان أعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى عرفت قدرى عليه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه ..

ويروى أن ملكا من الملوك كان يتغــدى مع ضيوفه ، وبينما الطباخ يضع الأطباق بخفة وسرعة اذ وقع شىء منها على تاج الملك فنظر اليه مغضبا .. فأكب الطباخ باقى الطبق عليه متعمدا .. فقال له : ما هذا ؟ ! فقال : يا مولاى خفت أن تأمر بقتلى فى شىء وقع منى خطأ فتنسب الى الظلم .. فلغيرتى على سمعتك فعلت هذا ! فقال له : يا قليل الأدب يا حسن الاعتذار .. قد وهبنا سوء فعلك لحسن اعتذارك ..

مســـاوئ الغضــب

ورحـــم الله الحسن البصرى الذى يقــول : « والله لو شتمنى أحد فى أذنى اليمنى ، ثم جاء الى فى الأذن اليسرى معتذرا ، ما استحققت رحمة الله أن لم اقبل عذره » .

وهو القائل : لو كان للكلمة الواحـــدة سبعون وجها من الشر ووجه واحـــد من الخير ، ما استحققت رحمة الله ان لم أؤولها اليه .

وهذا الجنيد قد سئل : بم نشترى عفو الله يا جنيد ؟ قال : بعفوكم عن الناس .. ولقد ذهب مرة ليصلى الجمعة فصبت عليه غسالة سمك ملأت ثيابه ، فقال لنفسه ليرضيها بما حصـــل : من استحق النـــار فصولح بالماء ، حق له الا يغضب .

فالعاقل يدفع الغضب عن نفسه ، ويتفاهم بعيدا عن الحمق والغضب .. فالأمراض الخبيثة كلها نتيجة الغضب الشديد . وهى تأكل الأخضر واليابس من المال مثل (الذبحة الصدرية ، وانفجار الشريان ، والضغط) كلها نتيجة فوران دمه بسبب الانفعالات الناتجة من الغضب الشديد .

وهناك أربعة أنواع من أدوية الغضب تجدها فى تعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

أولاها : أن تعتقد أن الفاعل الحقيقى لكل الأمور هو الله ، وما الخلق الا وسائل وآلات ووسائط .

ثانيها : يتذكر ما ينشأ عن غضبه من مفاسد .

ثالثها : يتذكر صورة شخص غاضب فيجدها اقبح ما يكون .

رابعها : يتذكر حكمة الجنيد عندما سئل ، بم نشترى عفو الله ؟ قال بعفوكم عن الناس .. فيعفو عن أخيه .

ولقد حدثنا التاريخ بأن الحجاج الثقفى مع شدة بطشه كان يخرج متخفيا ومتنكرا فى ثياب بدوية مهلهلة ، ويستفهم ممن يقابله : كيف حال الحجاج فيكم ؟ ! فيقول : هو غشوم للوم .. فيقول لهم : هلا شكوتموه الى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فيقولون هو أغشم منه واظلم .. فلما ادركته

الشرطة وسلمت عليه بالإمارة بلسوغ الرجل الى الحجاج وقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الحجاج بن يوسف .

فيقول له : ولم لا تسألنى من انا ؟ أنا مجنون بنى فلان يأتيني شيطانى فى هذا الوقت فأهرف بما لا أعرف . فضحك الحجاج وعفا عنه رغم اصطناع عذره

وبعـــد

فليكن قدوتنا جميعا قول ربنا لنبينا **« خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين »** . وأيضا نأخذ القدوة من الشمس الساطعة (شمس النبوة المشرقة) التى عفت عن حاطب ابن أبى بلتعة الذى أراد افشــــاء سر الجيش الذاهب لفتح مكة لولا أن فضحه الوحى لكان فى عمله احباط مسيرة غزو فتح مكة ، ولكنه بعد أن اعتذر بأنه ما فعل ذلك حبا فى الكفر ولا حبا فى أهله وانما أراد أن يتخذ عندهم يدا ليحموا بها أهله وماله وقال : وأعلم أن الله ناصرك على كل حال ، فقال الرسول : « انه قد صدقكم وانه قد شهد بدرا ، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقـــال : اعملوا ما شئتم فانى قد غفرت لكم » .

وأيضا ما كان من نبينا مع سراقة بن مالك الذي أراد أن يغنم مكافأة قريش (مائة ناقة لمن يعيد محمدا وصاحبه الى مكة) فلما قرب من الرســـول صلى الله عليـــه وسلم وصاحبه غاصت قوائم فرسه فى الأرض .. فانكفأ سراقة ، وتمكن الرســـول من قتله ، ولكنه عفا عنه ، فتأمل مكارم يسلك ... يعفو وهو مطارد من شخص ما هو بالمسـلم ،

ولا هو فى وسط قبيلته حتى يجر قتله الى خسارة فى الطرف الثانى ولكنها الأخلاق الكريمة التى نسجت رحمة للعالمين .

فاللازم أن تصطلح مع مولانا . وخاصة بعد أن وصل الى سمعنا وصف الرسـول الكريم للنـار . فقال ما معناه (لو وقعت شرارة من نار جهنم على أرضكم ما انتفعتم بها أبدا) ووصفه لبعض نعيم الجنة فقال : « لو ظهرت أنملة من أنامل الحور العين بين السماء والأرض لأضاءت الدنيا كما تضيئها الشمس » .

ولو اصطلحنا مع مولانا واستقمنا لدعا لنـا ملايين الناس فى صلاتهم ودعائهم وقنوتهم .. فلقد سئل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

من آلك الذين نصلى عليهم فى تشهدنا وقنوتنا ودعائنا ؟ فأجاب : « آلى كل مؤمن تقى يخاف الله الى يوم القيامة » .

فعلينا جميعا أن نركع لخالقنا ونسجد لعظمته . فبعض الموفقين يقول : لو خيرت بين أداء ركعتين وبين دخول الجنة لاخترت أداء الركعتين .. لأن فى أدائهمـا رضـاء لربى وفى دخول الجنة رضاء لنفسى وأولى بالعبد المؤمن أن يفضل رضاء ربه على رضاء نفسه .

وأغدق اللهم صلواتك على من بعثته لانقـاذ ملايين الملايين من طعام الزقوم وشراب الغسلين وسنصل بسببه الى جنـة عالية قطوفها دانية وعلى آله وصحبه ، وأكرمنا اللهم بكرامته انك على ما تشاء قدير .

* * *

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٤٣ ــ ١٩٧٥